الشريف ، ونقيضه . وكان يكره التكبر[1] الفارغ ، ويعتبره ظاهرة لرُوح صبيانية عادية . وكانت الرحمة عنده جرماً لا يغتفر . وكان يتمنى ان تكون ارادة الانسان ورغبته صراطه المستقيم الذي يمشي عليه .

ولا تخلو كافة نظرياته هذه وما أليها من آثار فيها للمحيط والبيئة ، ودراساته ومطالعاته . ونحن نعلم انه عاش فى زمان ومملكة كان تيار مذهب (الرومانتيزم) الالماني فيهما ، قوياً. فكان هذا المذهب المنبع الاول لمعارفه. ولكنه اقفر في نفسه بعد مضي مدة غير قليلة ، وجف معينة .

ثم توفر على قراءة هلدرلنغ فمال الى آداب اليونان ، ثم الى آداب الفرنسيين ، واضحى يهتدي بهديهم ويمشي على سننهم[2] . ورجح — من بعد — على هلدرلنغ ، الشاعر امرسون . وكان هذا عام ١٨٨٨ الشاعر الوحيد الذي فهمه تمام الفهم واحبه . فاما الذين خصهم باجلاله من شعراء اليونان وفلاسفتهم فثلاثة : اسكيل ، وسوفوكل ، وافلاطون . ولقد عادى من الادباء الفرنسيين (ج. ج روسو)ذلك بأنه كان شعبياً عامياً فى افكاره، وبأن مذهبه الاجتماعى لا يقوم الا على (الشعبية) . فكان هذا الاديب على رأيه عدماً ، كان على رأيه سوقياً روحه روح بقال . فأما الاستاذ الاول لنيتشه ومربيه الاقدم الذي كشف الغطاء عن فكره فهو شوبنهاور . وواغنر معلمه الثانى ومرضه المعلم الثالث .

---

(١) يذكر القارئ ان نيتشه كان فى المقال الاول ذا كبرياء . وهو هنا يكره التكبر . وتلك احدى غرائبه .

(٢) سنن الطريق : نهجه .

شعر ابليس

ابليس شاعر . ولكن من أي طبقة من الشعراء ؟ نظرة فى شعره استفتاء من كبار الشعراء .

اما شخصية ابليس واوصاف ابليس فليس بموضوع حديثنا واما انه وسواس خناس يوسوس في صدور الناس فذلك ما ورد في احدى المعوذتين واما انه خلق من نار فثابت في احدى آيات (البقرة) . ولكن الذي أريد ان احدثك عنه انما هو (شعر ابليس) .

وربما كنت في غفلة من هذا وربما كنت تجهل شاعرية ابليس ولكني سأورد لك قطعاً من نظم ابليس ملأت صفحات كتب الأدب وبقيت متفقاً عليها ومسكوتاً عنها ولا من احد يسوقه حب الاطلاع الى درس نفسية ابليس ونقد (شعر ابليس) وتصنيف (شعر ابليس) . خذ أى كتاب أدبى من الكتب المشهورة وابحث فى قسم النوادر منه تجد عدة حكايات مدونة وان شئت فقل ملفقة من (شعر ابليس) وابيات ابليس ! ! وقد كنت اقرأ الحكاية تلو الاخرى وانا معجب بأدب ابليس (وشاعرية ابليس) ! ! وبلغ بي العجب ان اشغل هذه الصحائف من « الحديث » عن (شعر ابليس) وربما كان المحرك لي هو (ابليس) ايضاً ومن يعلم ؟ واذا كان لكل شاعر ابليس فلم لا يكون لكل كاتب واحد ايضاً ؟ ! .

و (ابليس) في التغزل لا يقل عن الديلمي مهيار كما سترى :

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف ... حبيب بأوقاف الزيارة عارف

وما راعنى الا السلام وقولها ... أيدخل محبوب على الباب واقف

والذي يقول :

الا ربما زرت الملاح وطالما ... لمست بكفي البنان المخضبا

ودغدغت رمان الصدور ولم ازل ... أعض تفاح الخدود المكتبا

وما قولك بمن يقول :

الا غنيا لي قبل ان تتفرقا ... وهات اسقني صرفا شرابا مروقا

فقد كاد ضوء الصبح ان يفضح الدجى ... وكاد قميص الليل ان يتمزقا

وله ايضاً :

ولي كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبداً ليست بذات قروح

واسمع قوله :

الا يا حمامات اللوى عدن عودة ... فاني الى اصواتكن حزين

فعدن فلما عدن كدن يمتنني ... وكدت باسراري لهن أبين

وهذا انموذج من شعر ابليس سوآء أوافقتني أم حاججتني .

انى ادعى بان ذلك من نظم ابليس واثبت مدعاي بكتب الادب المتداولة منها كتاب (اسواق الادب وادب العجم والعرب) وكتاب العقد المفصل وكتاب تزيين الاسواق وكتاب ديوان الصبابة وما اليها . وكلها لا تخلو من نتف شعرية من نظم ابليس — كما يقولون — وسأقص عليك احسن القصص عن شعر ابليس .

« قال اسحق غنيت الرشيد ليلة حتى نام فجلست انتظر انتباهه والعود في يدي واذا بشباب على اجمل ما يكون من الهيئآت قد دخل علي فاصلح العود بعد ماشرب وانشد الا غنيا لى البيت .

ثم قال هكذا غنى الخلفاء وغاب عنى وقد ذهب عقلي من حسن غنائه فلما افاق الرشيد قصصت عليه القصة وغنيته بالصوت فاحسن صلتي وقال ليته

متعنا بغنائه ولم يرنا شخصه قال اسحق فذكرت بهذه ما حكاه لي ابي من انه استوهب الخليفة يوما يخلو به مع اهله فوهبه السبت لانه كان يستقبله فخلا ابراهيم يوماً وقد زار بيته وحرمه واتقن طعاماً وشراباً واوصى بحفظ الابواب من احد يدخل فبينما هو جالس على أحسن ما يكون اذا بشيخ عليه قلنسوة وثياب ناعمة وبيده عكازة وقد عبقت رائحة الطيب منه فسلم بلطف ثم جلس . قال ابراهيم فكدت ان أقضي فروضت نفسى فذاكرني الادب وايام العرب حتى ظننت ان غلماني حيونى به لما رأوا من ظرفه ثم قال بعد ما أبى من الطعام وأخذ شيئاً من الشراب هل لك أن تغنى شيئاً مما فقت به فتجشمت المشقة وغنيت : فقال أحسنت يا ابراهيم فزادغضبى ، ثم استأذنني فى الغنآء فاذنت له متعجباً من تجريه بحضرتي فاصلح العود وأنشد :

ولي كبد مقروحة . الخ . . ثم غير الصوت وغنى :

الا يا حمامات اللوى الخ . البيت

فوالله ما سمعت باحسن منه ولقد خلت بان العود والجدار ينطقان معه ثم غاب . فخرجت مغضباً وسألت عنه فقالوا نعيذك بالله ليدخل عليك أحد. فرجعت واذا بهاتف من جانب البيت يقول لا بأس عليك ما كان ضيفك الا ابليس فركبت الى الرشيد فحدثته بالقصة واخبرته ان الشيخ اخبرني انى احكمت الغنآء وغنيته كما سمعت فاحسن صلتي » .

واذا كنت فى ريب مما نقلناه اليك من النزهة (ص ٢٤٦) فدونك الحكاية الثانية :

« حدثنا اسحق قال أصبحت فى يوم مطير أيقنت فيه ان لا يأتينى احد فصنعت لنفسي ما شئت من طعام وشراب وجلست فى سرور حتى ولى النهار فذكرت جارية اهواها فقلت لو كانت عندي لكمل سروري فما اكملت

القول حتى جاءني غلام فقال فلانة بالباب فوثبت لم أملك نفسي فاذا بغرس التمني قد اثمر فاعتنقتها وقد بلها المطر فخلعت ما عليها وقلت ما الذي جاء بك في هذا الوقت قالت جاءني رسولك مرتين يخبرني انك تشكو الحرقة فكرهت ان اقول ما ارسلت احداً فجلست واخذت العود فغنيت :

توسدها كفي وبت ضجيعها وقلت لليلي طل فقد رقد الفجر
بوجه اذا ما غاب عني حكاه لي وان لم يكن في حسن صورته البدر
فلما أضاء الصبح فرق بيننا وأسى نعيم لا يكدره الدهر

فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا شيخ حسن الهيئة فجلس معنا فقالت هذا رسولك لي. فانكرت اذ لم اعرفه وعجبت من دخوله لأن المفاتيح عندي. هكذا في الاصل وفي غيره ان الجارية حين استقر بها الجلوس قالت أريد من يغني قال اسحق قلت انا. قالت لا أنت ولا أنا . ولكن أخرج فالتمس لنا أحد فخرجت طاعة لها واذا انا بشيخ أعمى وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيراً ان غنيت لم يسمعوني وان سكت استخفوا بي فقلت له هل تكون عندنا ليلتك قال خذ بيدي ان شئت فلما دخلنا وجلس قال لي غنى فحين غنيت قال قاربت ان تكون مغنياً فكدت ان أموت ثم سأل الجارية فغنت فقال ما جئت بشيء فقلت له هذا ما عندنا فهات ما عندك فطلب عوداً جديداً فاصلحه وكانت الجارية حين طرقت الباب قالت (أيدخل محبوب على الباب واقف) فانشد الشيخ :

سرى يخبط الظلماء والليل عاكف حبيب باوقات الزيارة عارف
وما راعني الا السلام وقولها أيدخل محبوب على الباب واقف

فحين سمعت ذلك الجارية قالت قد ضاق صدرك بكلمة فلم أزل ارضاها واحلف لها اني لم أقل واتقرب اليها بالتقبيل ودغدغة الثديين حتى ضحكت

فغنى الشيخ :

الا ربما زرت الملاح ؛ البيتين

فقلت لها أنا اعلمته بذلك فاطمأنت ثم قام الى الخلاء وابطأ فطلبناه فلم نجده فعلمت انه ابو مرة »

وهنالك عدة امثلة اخرى على هذا النحو . ولم نذهب بعيداً وامامنا شعر ابي نواس الذي قاله في حق ابليس واصبح مألوفاً تردده الالسن قوله :

عجبت من ابليس في كبره وخبث ما اظهر من نيته
أبى على آدم في سجدة وصار قواداً لذريته

وهو ما يؤيد الحكايات التي تقرأها عن قصص ابليس وشعر ابليس .

* * *

فما رأي « شاعر العرب » الكبير بشعر ابليس ؟ وما الذي يقوله « شاعر العراق الكبير » عن قصائد ابليس ؟ وهل ان ابليس من « المتقدمين » او « المتجددين » في شعره ؟ ومن اي طبقة من الشعراء هو ؟ أمن طبقة « الشعراء الثلاثة » ؟ . ام من طبقة « الشاعرين العراقيين » ؟ ؟

ام ان كل ما نقرأه من الحكايات عن نظم ابليس وشعر ابليس انما هي ملفقة لا اصل لها وفي هذه الحالة يجب تطهير الكتب الادبية من هذه القصص ! والا فلتعتن احدى مطابعنا بجمع [ديوان ابليس] خدمة للادب

لا حباً بـ (ابليس) !!!

خ . شوقي امين
الداودي